



أخذ موضوع تشكيل هيئة جديدة تجمع ممثلي المعارضة والحراك الثوري بمختلف فصائله منحى جديداً بعد أن انتقل النقاش فيه من أوساط المعارضة السورية إلى الأوساط الدبلوماسية وصار محوراً أساسياً في الحوار السياسي الدولي حول الملف السوري. وجاء تصريح السيدة كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية في ١٣١ أكتوبر ٢٠١٢ ليطرح المشكلة بشكل أكثر حدة، ليس اللاحمية التي يكتسيها موقف الولايات المتحدة من القضية السورية فحسب، ولكن لأن نقل الموضوع إلى العلن والاتيان بذكره على لسان وزيرة الدولة الأكبر التي عرقل ترددتها حتى الآن أي موقف دولي حاسم من النظام، يعطي للموضوع طابعاً دراماتيكياً بامتياز.

بالنسبة للكثير من أعضاء المجلس الوطني السوري وأصدقائه، يغطي هذا الموقف رغبة الدول الصديقة في إيجاد هيئة جديدة تحل محل المجلس الوطني وتكون أكثر طواعية لإرادتها. وأن هذه الدول الصديقة لم تظهر خلال الأشهر الطويلة الماضية من تاريخ الثورة السورية استعداداً واضحاً للانخراط مع الشعب السوري وتبني قضيته بالفعل، وكان موقفها يتسم بالتردد والانتظار وعدم الفاعلية، ويفحفي شلل الإرادة الدولية وراء مبادرات سياسية مفتقرة لأي مقومات النجاح منذ البدء، يثير الحسם الذي يظهره أصدقاء سورية في هذا الموضوع الشك في أن هناك إرادة ما بخلق هيئة تكون أكثر استعداداً للحوار مع النظام في الوقت المناسب. ومما يزيد من هذا الشك التراجع الذي شهدته موقف العديد من الدول الصديقة التي كانت تتوعد النظام عن تصريحاتها السابقة. بالإضافة إلى أن جميع الجهود التي بذلها السوريون للافراج عن السلاح النوعي لم تلق إزنا صاغية من هذه الدول ومن واشنطن بشكل خاص. وبال مقابل يؤكّد مسؤولو الدول ان الحاجة أصبحت ملحة لمثل هذه الهيئة الجديدة من جهة لتوحيد مواقف المعارضة في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ القضية السورية، ومن جهة ثانية لتشكيل جهاز تنفيذي قادر على توزيع المساعدات وتأمين الاغاثة بشكل أفضل للشعب السوري المنكوب. وهذا المهمتان اللتان لم ينجح المجلس الوطني في تحقيقهما بسبب تعدد مشاكله الداخلية وعدم قدرته على التحول إلى مؤسسة فاعلة وقدرة على الانجاز وبقائه ظاهرة إعلامية أكثر من أي شيء آخر.

لا شك في ان المجلس الوطني لم يرتفق في عمله وانجازه إلى مستوى تطلعات الشعب السوري، لا على المستوى السياسي ولا على المستوى الإغاثي، بالرغم من توفر الموارد المالية في الاشهر القليلة الماضية. وقد فشلنا، بسبب تحالف التيارات الخائفة من فتح المجلس، سواء اكان ذلك من أجل البقاء على هيمنتها بالنسبة للبعض او تشكيك بعضها المرضي بكل ما هو مختلف لدى البعض الآخر أو خوفها على ضياع المناصب أو التضحية ببعضها لصالح الآخرين لدى البعض الثالث. ونجح هذا التحالف في تعطيل مشروع اعادة الهيكلة لشهر طويلة قبل ان يحيله إلى توسيعة غير ذات مضمون. وكل هذا أساء بشكل كبير للمجلس وجعل البعض يرى فيه عيناً على الثورة بدل ان يكون خادماً لها، وأداة لدعمها، مما شجع اصحاب النوايا السلبية على التجربة من داخل المجلس وخارجها على التفكير في تجاوزه من دون خوف أو قلق من اي رد فعل محتملة. والطريف في الأمر أن الحماس لهذا التجاوز نحو هيئة جديدة قد ظهر بشكل مفاجيء عند أولئك الذين كانوا المسؤولين الرئيسيين عن إغلاقه في وجه أي قوة أخرى لا تنضم مع احتفاظ هؤلاء بموقعهم المتميز في المجلس. حتى بدا الأمر وكأنه انقلاب كامل للبعض على مواقفهم السابقة بعد ان صفت المجلس من أي مضمون سياسي.

لكن في الوقت نفسه لا أعتقد أن الاستعجال الذي نلاحظه اليوم في مسألة تشكيل هيئة جديدة بديل للمجلس الوطني نابع من ولادة إرادة جديدة عند الدول الصديقة لسوريا، والتي ساهم ببعضها مساهمة كبيرة في تشجيع قيادة المجلس على الانفلاق وعدم ايلاء قيمة أو أهمية لآخرين، في الانخراط بشكل اكبر من قبل في معركة الشعب السوري، ولا بالضرورة في سعيها إلى توفير جهاز أكثر فاعلية في تقديم المساعدات.

ما زالت هذه الدول الصديقة تسير على الطريقة ذاتها وهي البحث عن كبس فداء للتغطية على فشلها في الرد كما يقتضيه الواجب الانساني الاممي وكما وعدت هي نفسها من قبل على عمليات القتل المنهجي والمنظم التي يقوم بها نظام فقد كل معايير العقل والاخلاق والسياسة ضد السكان الآمنين. وبعد ان ضخت في المرحلة الأولى من وزن المجلس الوطني على أمل ان يشكل ذلك ضغطاً متزايداً على النظام، وهو ما حرم المجلس من فرص النمو الطبيعي من دون ان يثير الخوف لدى النظام من احتمال التدخل الدولي، تحاول الان ان تغطي على افتقارها اي خطة فعلية لمواجهة الكارثة الانسانية التي قاد إليها تغازلها بالتشهير بالمجلس والايهام بأنه المسؤول الرئيسي عن الوضع المأساوي القائم. والحال أن المجلس الوطني لم يدع لحظة واحدة انه بديل عن قوى الثورة الداخلية ولا عن القوى الدولية او انه قادر على مواجهة نظام الاستبداد الدموي في دمشق. لقد استمد نفوذه وقوته من تأجج الثورة السورية في الداخل وبطولة الثوار وتضحياتهم ومن الدعم الدولي. وربما كان من اكبر اخطائه انه اعطى ثقته للدول الصديقة الداعمة وراهن على حسن نواياها وقبل بمشوراتها. وهذه الدول التي غالباً ما سعت، او بعضها على الأقل، إلى أن توجه المجلس عن طريق اصدقائها وحلفائها فيه، هي المسؤولة عن ضياع المجلس مثلما كانت ولا تزال مسؤولة عن المصير التي آلت إليه معركة السوريين من أجل الحرية: غياب الخيارات وضعف المبادرات وانتظار الحسم من دون القيام بأي مجهود فعلي لتغيير موازين القوى على الأرض.

ليس الهدف من هذا الحديث الدفاع عن المجلس الوطني إنما تجنب الوقوع في المطبات ذاتها التي وقع فيها المجلس الوطني. وإذا كان السوريون غير قادرين على التفاهم بأنفسهم من أجل خدمة قضيتهم الكبرى فلن يفيدهم في شيء التفاهم الذي يفرضه عليهم الآخرون. وخوفي أن لا تكون الهيئة الجديدة، نظراً للطريقة التي سيصار إلى إنشائها، أقل حظاً من المجلس الوطني في التعبير عن القوى الفاعلة على الأرض وفي توفير الأطر الفاعلة المطلوبة لتقديم المساعدات الإنسانية الضرورية بالفعل للشعب المنكوب، بل مصدرها إضافياً لتأجيج الخلاف والانقسام داخل صفوف الشعب والمعارضة.

هناك بالتأكيد ضرورة لا يمكن لأحد أن ينكرها لايجاد اطار يجمع اطراف الثورة ويعبر عنها ويقودها. لكن القيادة لا تفرض ولا يمكن تصنيعها في المكاتب والمؤتمرات، وإنما تنتزع بالعمل والموافقات الصحيحة والمبادرات الصائبة. والإعلان عن الهيئة الجديدة بالاسلوب الذي حصل فيه قد افقدها منذ البداية كل فرصة لتحول بالفعل إلى قيادة وطنية سيدة وأظهرتها بشكل مأساوي كما لو كانت أداة في يد صانعيها من الدول والأشخاص.

وهناك بالتأكيد ضرورة ماسة لتشكيل هيئة تنفيذية قادرة على تقديم المساعدات وتوزيع الإغاثة وتنظيم الشؤون الإدارية والمرافق العامة.

لكن من الأسهل تكوين جهاز تنفيذي على شكل حكومة مؤقتة مصغرة تتفق عليها الأطراف من تكوين قيادة سياسية لثورة متراوحة الأطراف ومتحدة المشارب والمنابع. ومن الأعقل تشكيل لجنة تنسيق لتوحيد المواقف والجهود تكمل ما هو موجود من أطر وتحالفات، من تشكيل مجلس انتقالي يقف في مواجهة المجلس السابق الذي أعيد اختياره للتو وأصبح أكثر قوة وطالبا. ومن الأولى أن يأتي ذلك كإنجازات للمعارضة وقوى الثورة لاكتتبية لطلبات أجنبية أو عروض خصوصية. ومن الأصلح أن تتبثق هذه الانجازات من نقاش حقيقي واقتناع من أطراف المعارضة بدل أن تقدم كصيغ جاهزة وفي صورة أمر لازب لامجال فيه سوى للقبول أو الرفض.

في اعتقادي ما أعاق انبعاث قيادة سياسية حقيقة للثورة هو التدخل المتعدد الاشكال للقوى الدولية في شؤون المعارضة منذ البداية، وهو يعبر عن ضعف هذه المعارضة الفكرية والسياسية وهشاشتها التنظيمية. لكن الحل ليس في تحويل التدخل إلى قيادة وإنما في تشجيع السوريين على تحمل مسؤولياتهم وتقديرهم في ما بينهم على ما يوحدهم هذا لا يستقيم مع نزع الشعور بالسيادة عنهم وقتل روح الاستقلال والوحدة والعزيمة الوطنية عند رجالاتهم وقادتهم.

المصدر: صفحة د. برهان غليون على الفيس بوك

المصادر: